**الجامعة : المستنصرية**

**الكلية : الاداب**

**القسم : الانثروبولوجيا والاجتماع**

**اسم التدريسي : هدى كريم مطلك**

**المادة مقدمة المدخل الى الانثروبولوجيا العامة**

**المحاضرة الثالثة**

**نشاة الانثروبولوجيا وتطورها كعلم مستقل**

**ثانيا \_ نشاة الانثروبولوجبا و تطورها منذ القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر**

( كذلك دلت التجربة على أنه من الأسهل القيام بالملاحظة و المعايشة في الشعوب التي تنتمي الى ثقافات أخرى مغايرة , لأن الاختلاف في نهج الحياة , يجذب الانتباه إلية في الحال , كما قد يساعد في الوصول الى تأويلات موضوعية . و معنى ذلك بعبارة أخرى , أن دراسة المجتمعات البسيطة المتجانسة , المستقلة , و المكتفية ذاتيا . أي تلك التي توصف بأنها بدائية , أصبحت تمثل في نظر علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية على وجه الخصوص , مقدمة ضرورية , وخطوة مبدئية لابد منها , قبل دراسة المجتمعات الكبيرة المعقدة البناء , فهي من ناحية تتيح للباحث فرصة التدريب المنظم على تنمية قدراته على الملاحظة المباشرة و تسجيل التداخل و التساند المتبادل بين جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة , كما أنها من ناحية أخرى , تتيح لنا فرصة فهم الثقافة و البناء الاجتماعي في صورهما المعاصرة بصورة أفضل و أيسر من خلال الاستعانة بالمنهج المقارن , و الالتفات الى جوانب معينة بالذات , كان من العسير أن تجذب انتباهنا , لو أننا اكتفينا بتوجيه كل نشاطنا العلمي و حصره في نطاق المجتمعات المتحضرة الحديثة التي نعيش فيها الآن ) (1).

وفوق ذلك كله فقد شعر علماء الانثروبولوجيا ان كثيرا من حضارات تلك الشعوب البدائية في طريقها الى الزوال نتيجة لاتصالها بحضارات متقدمة , ولاقتباسها من تلك الحضارات الكثير من العناصر الحضارية و تبنيها بدلا من عناصرها الحضارية البدائية التقليدية . فصار لزاما على علماء الانثروبولوجيا ان يبادروا لدراستها , وان يركزوا عليها دون غيرها , قبل ان تزول و تختفي دون ان تترك أثرا (2). لهذا يرى العلامة (ايفانز بريتشارد) ان هذا السبب يعد سببآ هامآ لدراسة المجتمعات البدائية في الوقت الحاضر و الذي يتمثل بأن هذه المجتمعات تتبدل و تتغير بسرعة تستوجب المبادرة الى دراستها قبل أن تزول و تندثر . فهذه الانساق الاجتماعية التي في فهم طبيعية المجتمع الانساني . لأن الذي يهم في الدراسة المقارنة للنظم ليس عدد المجتمعات المدروسة , وإنما مدى تنوع هذه المجتمعات و تغايرها , وإلى جانب ذلك كله فان دراسة هذه المجتمعات لها قيمة ذاتية بحته , لأن لهذه المجتمعات في حد ذاتها نواحيها الطريقة التي تتمثل في معرفة طريقة الحياة , ونوع القيم , و المعتقدات السائدة عند هذه الشعوب التي تعيش و تحيا من غير أن يكون لديها ما أصبحنا نحن نعتبره اقل مقتضيات الحياة

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1. د. محمد علي محمد : المصدر السابق , ص 6.
2. د. شاكر مصطفى سليم : المدخل الى الانثروبولوجيا , المصدر السابق , ص14 .

الهانئة الحضرية . وهكذا , يتضح أن علماء الانثروبولوجيا يستشعرون ضرورة القيام بدراسة منهجية منظمة لأكبر عدد ممكن من هذه المجتمعات البدائية , ما دامت هناك فرصة لذلك . والواقع أن هناك عددآ كبيرآ من المجتمعات البدائية لم يدرس منها دراسة أنثروبولوجية مركزة ومتعمقة إلا قليب محدود . لأن مثل هذه الدراسات تتطلب وقتا طويلا , كما أن عدد الأنثروبولوجيين لا يزال محدودا للغاية.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الاهتمام بدراسة المجتمعات البدائية بالذات كان يستهدف تحقيق غاية نفعية , اذ كانت تستخدم لتعريف الاوروبيين بثقافة الشعوب الآسيوية و الافريقية التي يتعاملون معها , فالتقارير و المؤلفات الضخمة التي كان يكتبها الرحالة عن عادات هذه الشعوب و تقاليدها و أحوالها النفسية , و ميول الأفراد و الجماعات و القبائل فيها , كانت تساعد الاوروبيين في معرفة الوسائل التي تسهل مهمتهم سواء في المجال السياسي , أو الاقتصادي أو الديني بذلك أفادت الانثروبولوجيا العسكريين , والتجاريين , والمبشرين الدينيين , منذ القرن السابع عشر بخدمات لا حدود لها , حتى أن بعض العلماء يذهب إلى أن علم الانثروبولوجيا قد نشأ منذ البداية لخدمة الاستعمار و تبرير و تسهيل مهمته في السيطرة على الشعوب البدائية و نهب ثرواتها .

ولكن على الرغم من أن علماء الانثروبولوجيا يوجهون معظم اهتمامهم الى المجتمعات البدائية . فان ذلك لا يعني أبدآ أن جهودهم تنحصر في نطاق هذه المجتمعات وحدها . ففي أمريكا تمت بالفعل عدة دراسات هامة على مجتمعات أكثر تقدما – في ايرلنده , واليابان , والصين , والهند , والمكسيك , وكندا , بل وفي الولايات المتحدة ذاتها , وقام بهذه الدراسات أنثروبولوجيون أمريكيون أو ممن تعلموا و دربوا في أمريكا , كما طبق المنهج الانثروبولوجي بنجاح ملحوظ في دراسة مجتمعات ريفية , وحضرية , ومصانع , وتنظيمات و هيئات حكومية و عسكرية عديدة , ممن تحتاج دراستها الى توجيه اهتمام أكثر نحو الاحاطة بالبناء الشامل ومعرفة نسيج العلاقات الاجتماعية بين الأفراد و الجماعات , والوظائف الظاهرة و الكامنة للظواهر و الوقائع الاجتماعية المختلفة , بدلا من الاكتفاء بالمعلومات الانطباعية و الآراء الشخصية المضللة للأفراد , التي يمكن الحصول عليها باستخدام استمارات مقننة للبحث , لا تنتهي بنا إلا الى معرفة مظهر او جانب واحد فقط من جوانب الحياة الاجتماعية المتشابكة المعقدة و يمكن أن نقول في ضوء حجم النشاط العلمي لعلماء الانثروبولوجيا الامريكيين من حيث اهتمامهم بدراسة مجتمعات أكثر تقدما , أن الانثروبولوجيين البريطانيين قد تخلفوا عنهم في هذا المجال . ويرجع ذلك الى عدة عوامل من بينها قلة عدد المتخصصين , وكثرة عدد الشعوب البدائية في المستعمرات البريطانية . ويقول ايفانز بريتشارد في هذا الصدد, في مؤلفه « الأنثروبولوجيا الاجتماعية » ( أنظر الترجمة العربية للدكتور احمد تلو زيد ص 29 – 30 ) ما يلي « في السنوات القليلة اماضية قام طلبة معهد الانثروبولوجيا الاجتماعية بأكسفورد بدراسات على المجتمعات الريفية و الحضرية , وجزر الهند الغربية و تركيا و أسبانيا , وبدراسة البدو العرب في شمال أفريقيا , وكذلك دراسة احدى القرى , وحياة المدينة في انجلترا » .

وعموما , فان الانثروبولوجيا بفروعها المختلفة – الاجتماعية و الثقافية على وجه الخصوص – تدرس كل المجتمعات الانسانية لا المجتمعات البدائية فقط .

حتو ولو كانت من الناحية العملية توجه معظم جهودها الآن – للأسباب التي ذكرناها – الى النظم الاجتماعية عند الشعوب الاكثر بساطة . فمن الواضح أنه لا يمكن قيام علم مستقل متميز يقصر جهوده كلية على تلك المجتمعات البسيطة . ومع ان الانثروبولوجي قد يقوم بالدراسة و البحث في أحد الشعوب البدائية , إلا ان ما يدرسه هناك هو اللغة , والقانون , والدين و القرابة و النظم السياسية و الاقتصاد و الثقافة , أي أنه يعني نفس المشكلات و المسائل العامة التي يهتم المتخصصون في تلك الموضوعات بدراستها في حضارات العالم الكبرى . وأخيرا يجب أن نتذكر أن عالم الانثروبولوجيا حين يحاول تأويل و تفسير ملاحظاته عن المجتمعات البدائية , فانخ يلجأ دائما الى المقارنة – ولو بشكل ضمني – بما يجده في المجتمع الذي يعيش فيه . نستطيع بعد ذلك كله , أن نحدد الموضوعات المحورية التي تدور حولها بحوث الانثروبولوجيا بصفة عامة , و يمكن القول – مبدئيا – بأن الموضوع الرئيسي يتمثل في البحث المنظم عن تلك «المبادئ» التي تحكم التطور الفزيقي و الثقافي و الاجتماعي للانسان . اذ إن هناك عددآ كبيرآ متنوعا من المشكلات ذات الصلة الوثيقة بالموضوع الرئيسي للانثروبولوجيا , وتنطلب كل طائفة من هذه المشكلات تطوير مناهج و أساليب فنية ملائمة للبحث , ولهذا تنقسم الانثروبولوجيا , شأنها شأن أي علم آخر إلى فروع متعددة , يعالج كل منها جوانب معينة من هذا الميدان الواسع , وقد أشرنا الى أن أهم هذه الفروع هي : الانثروبولوجيا الطبيعية , ودراسة السلالات البشرية , والانثروبولوجيا الثقافية , و الانثروبولوجيا الاجتماعية(1) . وهذاما يتناوله بايجاز المبحث الآتي , وستعرض هذه الفروع الثلاثة الرئيسة للانثروبولوجيا العامة بشيء من التفصيل في الفصول اللاحقة .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1. د. محمد علي محمد : المصدر السابق , ص 6 – 10 . (متل )